رؤية عبد الرحمن الجبرتى للحركة السلفية فى مصر

وشبه الجـــزيرة العربية

د. نازك زكى أحمـــد(*)

ليست ظاهرة احياء التقاليد الاسلامية الأولى خاصة بالحركة الوهابية فى شبه الجزيرة كما يتبادر الى الذهن ، فالحركات الدينية عموما تشهد مثـــل هذه الحالات أو الظواهر التى تسمى عند أصحاب الديانات الأخرى بالحركات الطهرية .

ولذلك لا يبدو غريبا أن تظهر فى مصر حركات تدعو الى احياء الاسلام كما كان فى عهوده الأولى وتطهيره من الشوائب الكثيرة التى أدخلت عليـــه استجابة لأحاسيس شعبية بسيطة تتطلع الى ممارسة حياتها الدينية على مقربة من أشياء ملموسة مثل قبور الأولياء .

وبناء عليه فقد شهد العالم الاسلامى ردود فعل كثيرة على انتشار هذه التقاليد الشعبية سواء فى القرن الثامن عشر أو قبله ولكننا سنقصر حديثنا عن الفترة التى عاشها الجبرتى أو تحدث عنها فى كتابه عجائب الآثار وهى تشـــمل كلا من مصر فى القرن الثامن عشر ثم شبه الجزيرة العربيـــة .

* محاولات الاحياء السلفى فى مصر فى القرن ١٨ ورؤية الجبرتى لها :

لم يكن المناخ الفكرى فى مصر ملائما لتقبل الأفكار الاصلاحية وذلك لقوة نفوذ الطرق الصوفية وما أشاعته من عادات تقديس الأولياء واقامة الموالد لهذه الشخصيات والتى كانت مناسبة لاحتفالات شعبيـــة تستهوى القلوب كما كانت مجالا لنشاط تجارى واسع .

وقد كانت مزارات الأولياء منتشرة فى كل أقاليـــم مصر من أقصاها الى أقصاها حتى علماء الأزهر اتجه معظمهم الى الالتحاق بالطرق الصوفية وتركوا الأخذ بالسنن والمصادر الأصلية .

(*) مدرس بقسم التاريخ ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس .

وقبل ظهور عبد الرحمن الجبرتى بفترة طويلة شهد مجتمع العلماء فى مصر أفرادا يظهرون من حين الى آخر يحاربون هذا التيار العام ولكن دون أن يكون بينهم وبين الحركة السلفيـة فى شبه الجزيرة اتصال وانما يعزى هذا التشـابه فى الرأى الى توارد الخواطر ، ولذلك فان هذه المحاولات لم تترك أثرا كبيرا بل غالبا ما اندثرت بوفاة دعاتها ، وربما يرجع ذلك أيضا الى أن ممثلى السلطة فى مصر سواء من المماليك أو رجال الادارة العثمانية كانوا أميل الى الطرق الصوفية وزعمائها(١) .

وقد اتخذت هذه الحركات الاصلاحية شكلين من المواجهة :

١ — أسلوب العنف .

٢ — والحوار النظرى مع مؤيدى الطرق وغيرهم من علماء الدين .

أولا : اسلوب العنف :

استخدم بعض الحكام هذا الأسلوب لمناهضـة المغالين فى الخروج عن التقاليد الاسلامية مثل هؤلاء الذين يدعون أنهم فقدوا عقولهم لوصولهم الى درجة عالية من الوجد الصوفى مثل المجاذيب الذين عرفهم مجتمع القاهرة عن قـرب .

فمن أمثـلة هذه المواجهة أنه ظهر فى عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٣م رجل تكرورى ادعى النبوة فاحضروه لدى الشيخ أحمد العماوى الذى سأله عن حاله فأخبره أنه كان فى شربين وهناك نزل عليـه جبريل ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له أنت نبى مرسل فانزل وبلغ الرسالة واظهر المعجزات فلما سـمع الشيخ العماوى ذلك اتهمه بالجنون ولكن الرجل أصر على أنه نبى مرسل ، وعندئذ أمر الشيخ العماوى بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع ثم سمع « عثمان كتخدا » وكيـل الوالى بقصـة هذا الرجل التكرورى فطلب احضاره اليـه وسأله فأصر على أقوالـه(٢) . .

فأمر بحبسه ثلاثة أيام ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه

---

(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢١ — ٢٢ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

وأمروه بالتـــوبة فأمتنع وأصر على ما هو عليــه وعندئذ أمر الباشـــا بقتـــله(٣) .

وفى عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م أثناء ولاية « محمد باشا اليدكش » الصدر الأعظم كان منشغلا بقضيـــة الخلاف بين هؤلاء التطرفين فى الخـــرافات الغيبية وبين المؤسسة الدينية الرسمية الممثلة فى الأزهر ، ولذا فانه أصدر أمرا بابطال شرب الدخان فى الشـــوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ونزل الأغا والوالى ونادوا بذلك وشددوا فى الانكار وعقاب كل من يفعل ذلك مهما كان مركزه وصار الأغا يشق العاصمة ثلاث مرات فى اليـــوم وكل من وجده وفى يده آلة الدخان عاقبه وربما جعله يأكل الحجر الذى وضع فيه الدخان(٤) .

واذا كان الوهابيون فيما بعد سيشتهرون بمنع شرب الدخان فان هذا الوالى يكون قد سبق الى تطبيق نفس الفكرة ولكنه لم يدع لنفسه حقوق شرعية خاصة وانما فعل ذلك على سبيل أداء مهماته الرسمية ، وعندما حج الأمير عبد الرحمن كتخداً فى عام ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م صحبه عثمان بك كتخدا وأقام هناك الى سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م ويبـــدو أنه تأثر بمبادىء الدعوة السلفية رغم أنها كانت ما تزال فى بداية نشأتها ، وعنـــدما رجع الى مصر عمل الخيرات وابطل المنكرات مثل ابطال خمامير حارة اليهود(٥) .

ومن أمثـــلة ذلك أيضا انه ظهر فى عام ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م رجل من المجاذيب يدعى « على البكرى » — اعتقد فيه عامة الناس — كان يمشى عريانا وتعلقت به امرأة تدعى الشيخة أمونة وصـــارت تمشى خلفه أينما توجه وتتحدث بفاحش القول وتدخل معه الى البيوت واعتقد الناس ايضا وأعطوها الهدايا وأشاعوا أن الشيخ قد جذبها وصارت من الأولياء ثم ارتقت فى مدارج الجذب فكشفت وجهها ولبست ملابس الرجال ولازمت الشـــيخ أينما توجه ويتبعهما الأطفال الصغار ، وزاد الحال وكثر خلفهم أوباش الناس وصاروا يخطفون الأشياء من الأسواق ، واذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميع وازدحم الناس عليه وتصعد المرأة على دكان وتتكلم بفاحش القول باللغة التركية أو العربية والناس ينصتون اليها ويقبلون يدها ويتبركون بها .

---

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٥١ — ١٥٢ .
(٥) نفس المرجع ، ص ٥ .

هكذا صور الجبرتى حالة من الحالات الشاذة التى كانت تلقى صدى فى مجتمع مستعد للخروج من أزمته الاجتماعية والعسكرية بالاندفاع وراء أمثال هؤلاء الدجالين ، ويستمر صاحبنا فى رواية حوادث مشابهة لأنها تلفت نظره لعلاقتها بالعقيدة الدينية وقد يكون الأمر متعلق بحادث بسيط ليس له سوى أبعاد محلية مقصورة على حى من أحياء القاهرة فيذكر أنه فى منطقة « بين الصورين » كان يسكن بجوار بيت القاضى أحد الأجناد ويدعى « جعفر كاشف » فأثناء مرور الشيخ على البكرى قبض عليه ومعه المرأة وباقى المجاذيب وطرد الناس عنه ثم أخذ يضرب ويعذب المجاذيب كما أرسل المرأة الى المارستان وفى النهاية أطلقه الشيخ على البكرى لحال سبيله(٦) .

ولم يورد الجبرتى ردود فعل من السلطة على هذه الحادثة وربما يعود ذلك الى اختلاف الفترة الزمنية فهى تقع أثناء احتدام الصراع على السلطة بين المماليك والعثمانين وبين فرق العثمانيين نفسها .

وفى أثناء الحملة الفرنسية على مصر استفتى مينو — أثناء تولية حكم مصر — ١٢١٦هـ / ١٨٠١م علماء الديوان بشأن الأشخاص الذين يدورون فى الأسواق ويكشفون عن عرآتهم ويدعون الولاية وسألهم هل الدين الاسلامى يسمح بذلك فأجابوه بأن هذه الأعمال بعيدة كل البعد عن الدين الاسلامى وان هذه الأعمال قد حرمها الله فى القرآن الكريم .

لذلك فانه يتعين على أولى الأمر ان يحملوا الناس على احترام واتباع القوانين والعمل بنصوص احكامها وفى النهاية طلب العلماء من المسئولين الفرنسيين أن يصدروا الأوامر اللازمة لمنع الناس من التجمع حول هؤلاء الأشخاص الذين يرتكبون الفحشاء مخالفين بذلك شريعة الله ، وبناء على هذه الفتوى أصدر مينو القرارات الآتية(٧) :

١ — على جميع القواد وغيرهم من الحكام أو الرؤساء العسكريين أن يلقوا القبض على الرجال الذين يزعمون أنهم من أولياء الله الصالحين .

---

(٦) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٧) صلاح البستانى : صحف بونابرت فى مصر ، كوربيه دى ليجيب ، العدد رقم ٩٦ خطاب من ديوان القاهرة الكبير الى القائد العام ج مينو للجيش الفرنسى ، ص : ٣٥١ .

٢ — يلقى القبض على الرجال والنساء سواء فى القاهرة أو فى أى جهة من البلاد المصرية ممن يؤدون أمام تجمعات المارة من الناس بعض المشاهد الحقيرة المخلة بالآداب التى غالبا ما تكون فاضحة أو فاحشة ومخالفة للطبيعة البشرية .

هكذا نرى أن المواجهة باستخدام السلطة والادارة أحيانا واصدار الأحكام أحيانا أخرى كان أحد الأساليب المتبعة ازاء المشعوذين ومدعى التصوف والولاية الذين أساءوا الى التصوف والمتصوفة والحقوا به كثير من البدع والخرافات ، فقد اختلفت وتفاوتت فيما بين ضرب المجاذيب أو الحاق امرأة بالمارستان وما بين عنف قاس وصل الى درجة القتل كما حدث لمدعى النبوة(٨) .

وقد تعاطف الجبرتى مع هذه الاجراءات على اختلافها ، ولكن السؤال الذى ينبغى طرحه هو هل كان المؤرخ المصرى معاديا مثل السلفيين فى شبه الجزيرة للطرق الصوفية بصفة عامة أم أنه كان يقف ضد اسرافها فى تقبل البدع التى تحولت الى شعوذة وجدل على نحو مارأينا .

ثانيا : الحوار النظرى :

وقد قام بهذه المهمة الفقهاء المسلمون فى كافة العصور الاسلامية الا أن هذا الجدل قد ضعف فى العصر العثمانى لأن أكثر العلماء قد انخرطوا فى سلك الصوفية ، ومن يقرأ تراجم العلماء فى الجبرتى يرى أن الغالبية العظمى من العلماء كانوا منتمين الى هذه الطريقة أو تلك ، بل ان بعضهم تعالى فى تقبل الخروج عن التقاليد السلفية فأدعى الكرامات ، وقد اتخذ النزاع بين الفقهاء والمتصوفة فى القرن الثامن عشر مظهر الجدل النظرى بكتابة الرسائل التى يحمل فيها الفقهاء على خصومهم فى لهجة تتراوح بين العنف واللين ، ولقد كانت مسألة الكرامات واطلاع الأولياء على قراءة اللوح المحفوظ من أهم القضايا التى دار الصراع حولها بين الفقهاء والمتصوفة ، فبينما دافع بعض العلماء المتصوفة عن هذه الكرامات والفوا الرسائل العديدة لاثباتها مثل الشيخ « أحمد الجوهرى » ١١٨١هـ / ١٧٦٧م

---

(٨) المرجع السابق : ص ٣٥٢ — ٣٥٣ .

الذى الف رسالة بعنوان : « الماء الزلال فى اثبات كرامات الأولياء فى الحياة وبعد الانتقال »(٩) .

ولكن بجانب الشيخ احمد الجوهرى فقد كان هنـــاك فريق آخر من العلماء ينكر مسألة كرامات الأولياء واطلاعهم على اللوح المحفوظ وكانت أول محاولة من جانب العلماء لانكار هذه البـــدع والقضاء عليها فى ذلك القرن تلك المحاولة التى قام بها الواعظ التركى الأصل فى رمضان ١١٢٣هـ / ١٧١١م الذى كان يعقد مجالس وعظه فى جامع المؤيد ، وقد اعتبر هذا الواعظ أن زيارة الأضرحة وايقاد الشموع والقناديل على قبور الأوليـــاء وتقبيـــل أعتابهم هو من قبيل الكفر وانه يجب على النـــاس ترك مثل هذه الأمور .

ونادى بعدم جواز بناء القباب على أضرحة الأولياء والتكايا وانه يجب هـــدم ذلك(١٠) .

وصل خبر هذا الواعظ واقواله الى علماء الأزهر ، فأصدر كل من الشيخ أحمد النفراوى والشيخ أحمد الخليفى فتوى ذهبا فيها بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم ، وأن انكار الواعظ التركى الاطلاع على اللوح المحفوظ غير جائز ، وطالبا الحكم بالقبض على هذا الواعظ .

مما يدل على أن السلطة فى مصر قد استجابت للعلماء دون تحفظ وهذا فرق كبير بين الظروف التى مر بها الواعظ التركى وتلك التى مر بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما لاقى تأييد حاكم الدرعية(١١) .

ومما يستلفت النظر أن الجبرتى حينما سار فى نفس الخط وتعاطف مع الفكر الســـلفى لم يتعرض لايذاء السلطة كما حدث للواعظ التركى المشار اليه ، والذى حدثنا عنه الجبرتى دون أن يذكر اسمه ، ويمكن تعليـــل ذلك بعدة أمور منها أن الجبرتى عاش فى عصر فوضى سياسية

---

(٩) عبد الله محمد عزباوى : الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، ص ٣٧٣ — ٤٢٧ .

(١٠) الجبرتى : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٤٨ — ٥٠ .

(١١) محمود الشرقاوى ، مصر فى القرن الثـــامن عشر ، جـ ٢ ، ص ٩٥ .

تعاقبت فيه أنواع مختلفة من الحكم فأنشغلت السلطة عن مثل هذه الأمور ومنها أن مؤرخنا سجل تعاطفه فى ثنايا كتاب تاريخى دون أن يتصدى بالوعظ والارشاد بين جماهير المسلمين لذلك لم يظهر رد فعل عام يمكن أن يعرض حياة الجبرتى للخطر فضلا عن الانتقاد(١٢) .

ويرجع تفسير موقف الشيخ عبد الرحمن من الفكر السلفى والطرق الصوفية الى أمور كثيرة ففسرها البعض بأن روح العداء لمحمد على الذى دخل فى حرب ضد الدولة السعودية الأولى هو السبب فى تأييده للسلفية ولكن يمكن الرد على هذا الزعم بأن الجبرتى منـــذ أن خرج الفرنسيون من مصر وعاد الحكم العثمانى اليها وهو يؤيد شرعية الخلافة العثمانيـــة بكل قـــوة .

ولما كانت الخلافة العثمانية قد وقفت موقفا عدائيا من الحركة السلفية فان منطق الأشياء يقتضى أن يتخذ الجبرتى موقفا معاديا للدولة العثمانية على الأقل فى مجال حكمه السياسى الا انه لم يفعل شىء من ذلك .

وعلى الرغم من أن السلطة العثمانية لم تكن مستقرة يوما فى نجد أو الحجاز فان قيام الدولة السعودية الأولى اعتبر بمثابة تهديد خطير لهيبة السلطنة نظرا لأن قيـــام الدولة السعودية لم يكن حركة انفصالية عادية بل انها نازعت آل عثمان فى صفتهم الروحيـــة كخلفاء للمسلمين لهذا لم تتوان حكومة الأستانة عن تكليف ولاتها القريبين من المنطقة بحشد جهودهم للقضاء على تلك الحركة وكان من المفروض أن تشـــارك مصر باعتبارها ولاية عثمانية فى اداء دور رئيسى لمناهضة الحركة السعودية بحكم صلاتها الاقتصادية والادارية بالحجاز(١٣) .

فمن المعروف أن قسما من الجزية السنوية المفروضة على مصر كان مخصصا لتموين الأماكن المقدسة كما أن تجارة الحجاز ارتبطت بمصر وقد تأخر تكليف ولاة مصر بالتدخل فى شبه الجزيرة بسبب الحملة الفرنسية وما أعقبها من فوضى انتهت بتولية محمد على ١٨٠٥م ، ولم يكن يمضى عام واحد على توليته الا وجاء فرمان بنقله الى سالونيك ، وكان من مبررات النقل تقصيره فى حماية قافلة الحج الى الحجاز ومن المعروف أن محمد على

---

(١٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(١٣) عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، ص ٢٨٣ .

تمكن من الاحتفاظ بولاية مصر وغيرت الدولة بعد ذلك اسلوب معاملته واصبحت تلح عليه فى ارسال حملة الى شبه الجزيرة فكان هذا الأمر يتجدد كل عام مع فرمان التنصيب حتى عام ١٨١١م ، وجدير بالذكر أن الوثائق تشير الى أن التكليف ورد من السلطان العثمانى مصطفى الرابع الى « محمد على » على القيام بالحملة منذ ١٨٠٧م / ١٢٢٢هـ(١٤) .

ولم يعارض الباشا الفكرة ولكنه تأخر فى تنفيذها ريثما يتغلب على مشاكله الداخلية من جهة ويساوم بها للحصول على مكاسب شخصية من جهة أخرى(١٥) .

ومن المعروف أن محمد على قد حقق ماعجز عنه ولاة دمشق وبغداد من القضاء على الدولة السعودية الأولى بالحملات المتعددة التى استمرت سبع سنوات ١٨١١ / ١٨١٨م ، ومن خلال الجبرتى نلاحظ أن قسما من الرأى العام المصرى كان يتعاطف مع السلفيين الذين كانوا لديه أفضل من الأتراك والألبانيين الذين يسببون متاعب للشعب(١٦) .

ومن ابرز المشاكل التى اعترضت محمد على فى ارسال الحملات الى شبه الجزيرة تدبير المال والمؤن اللازمة وهذا الموضوع بالذات هو أول وأهم مالفت نظر مؤرخنا وجعله يهتم بتسجيل أحداث حملة شبه الجزيرة والتعليق عليها وقد حاول محمد على حل مشكلته المالية بواسطة طريقتين :

الأولى : الحصول على أكبر قدر ممكن من الاعانات من حكومة الآستانة .

الثانية : هو فرض رسوم اضافية على المصريين الذين عانوا كثيرا ابان الاستعداد للحملة .

وخلال فترة الحرب شملت الرسوم المواد الغذائية الرئيسية كالقمح كما تم الاستيلاء بالقوة على كثير من دواب النقل وصودرت الأوقاف الخيرية

---

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
(١٥) صلاح العقاد ، الحملة المصرية فى شبه جزيرة العرب ، ص ١٠٨ .
(١٦) صلاح العقاد ، دعوة حركات الاصلاح السلفى ، ص ٩٩ .

وسجل الشيخ عبد الرحمن هذه الاجراءات معبرا عن المرارة التى سادت مشاعر المصريين على اختلاف طبقاتهم(١٧) .

فقد أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر وركب الى السويس وسافر صحبته السيد محمد المحروقى شهبندر تجار مصر وقام باحتياجاته ولوازمه ، فلما وصل الى السويس حجز الدواب التى وصلت بالمحمل وابحرت عديد من المراكب التى انشأها ليأخذوا الدواب والسفن التى بموانى البحر الأحمر .

ولما لم يظفر الباشا بالشىء الكبير من الدولة فقد وقع العبء الأكبر على الشعب المصرى بل لم يستطيع أن يلغى الجزية السنوية المفروضة على مصر فاكتفى بتخفيضها وعوض ذلك بجمع أموال طائلة ، وقد رصد الجبرتى بكل دقة كيفية جمع هذه الأموال وندد بأعمال الباشا وأنه عقد أجتماعا حضره « الدفتردار » والمعلم غالى والسيد عمر مكرم والمشايخ وقال لهم : « لا يخفاكم أن الحرمين استولى الوهابيون وفشوا أحكامهم بها وقد وردت علينا الأوامر السلطانية المرة بعد المرة للخروج اليهم ومحاربتهم وقد حسبنا المصاريف اللازمة فى هذا الموقف فبلغت أربعة وعشرين ألف كيس فاعملوا رأيكم فى تحصيلها فحصل ارتباك واضطراب وشاع ذلك فى الناس وزاد فيهم الوسواس »(١٨) .

ومما لاشك فيه أن الحملة كانت باهظة التكاليف فقد احتاجت الى وسائل نقل ضخمة سواء برا وبحرا وكان لابد من سفن حديثة ولم يكن بمصر ترسانة لبناءها الا فى الاسكندرية فحمل بعضها على ظهور الجمال الى البحر الأحمر كما انشئت ترسانة صغيرة فى السويس وأقيمت حاميات على الطريق فى خليج العقبة وشاطىء مصر الجنوبى واستخدم ميناء القصير كمخزن للامدادات كما استعان بفرسان من القبائل العربية التى تسكن هذه المناطق وخاصة قبيلة الحويطات ودفع لهم مقابل ذلك مبالغ كبيرة(١٩) .

وتحملت فئات الشعب ، وخاصة التجار وأصحاب الحرف الكثيرة ،

---

(١٧) الجبرتى ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

(١٨) الجبرتى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ / ٢٣٦ .

(١٩) صلاح العقاد ، الحملة المصرية فى شبه جزيرة العرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

من هذه النفقات ويتميز موقف الجبرتى ازاء الحملة بأنه لم يكتف بتسجيل احداثها وانما أظهر رأيه فى الحركة الدينية التى كانت وراء قيام الدولة السعودية ولابد أن صاحبنا أبدى استقلالا فى الرأى عن الاتجاه السائد بين علماء الأزهر الخاضعين حين ذاك لتأثير الطرق الصوفية ولذلك لا نستطيع الجزم بأن تعاطف الجبرتى مع الحركة السلفية فكريا مبعثه الكره لمحمد على ولكن من المؤكد أن كلا الأمرين الاعجاب الفكرى والسخط على نظام محمد على قد أثر فى تناول الجبرتى لهذا الموضوع الذى شغل العالم الاسلامى خصوصا عندما استولى آل سعود على الحجاز واوقفوا قافلة الحج ، وقد كان الجبرتى فى حولياته يتوقف فى كل عام عند خروج القافلة ويصف الاحتفالات بها(٢٠) .

وكانت أول مرة يرد فيها ذكر لظهور السعوديين فى الحجاز هى ضمن حوادث عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م ولم ترد أية اشارة بشأن الدعوة السلفية لدى الشيخ عبد الرحمن قبل هذا التاريخ ويرى البعض أن ذلك يرجع لأسباب هى(٢١) :

١ — أن الجبرتى لم يكتب تاريخا بصورة جدية قبل الحملة الفرنسية أى بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتسع سنوات وكل ماكتبه قبل هذا التاريخ هو بعض ترجمات لأعيان القرن الثانى عشر الهجرى وحتى هذه الترجمات كان قد توقف عنها عقب وفاة الشيخ المراوى ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م صاحب كتاب « سيرك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر » ثم فترت همته حتى عاد للكتابة بعد ذلك بمجىء الحملة الفرنسية .

٢ — أن الحملة الفرنسية شغلت الجبرتى عما عداها فكتب عنها فقط .

٣ — أن دعوة ابن عبد الوهاب لم تلفت الأنظار اليها خارج الجزيرة الا بعد أن امتد نفوذ آل سعود الى الحجاز والطرق المؤدية اليه .

وكانت أول اشارة أوردها عن الموحدين ماذكره فى حوادث محرم ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م بقوله :

---

(٢٠) على بركات ، الجبرتى والدعوة السلفية ، ص ٤١ .
(٢١) المرجع السابق ، ص ٤١ — ٤٢ .

وفيه ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ودخل فى عقيدته قبائل من العرب كثيرة وبث دعاته فى أقاليـــم الأرض ويزعم أنه يدعوا الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ويأمر بترك البدع التى ارتكبها الناس ومشوا عليها الى غير ذلك(٢٢) ، وسنحاول فيما يلى أن نستخلص مواقف المؤرخ المصرى ازاء الدعوة السلفية فى شبه الجزيرة من خلال ثلاث زوايا :

١ — الصراع بين الأشراف وآل سعود .

٢ — الحرب فى الجزيرة العربية بين السلفيين وقوات محمد على .

٣ — موقف الجبرتى من المبادىء النظرية .

أولا : الصراع بين الأشراف وآل سعود :

حاول الأشراف الاستنجاد بالدولة العثمانية ضد آل سعود مع كونهم البادئين بالتحدى عنـــدما رفض الشريف مسعود بن سعيد الذى عاصر الأمير محمد بن ســـعود ١١٣٨ — ١١٧٩هـ ، ١٧٢٥ — ١٧٦٥م أن يسمح لأهـــل نجد بالحج ومن ثم شرع الأشراف فى مهاجمة نجد ابتــداء من عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م غير انه ابتــداء من عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م أخذ مركز الأشراف فى التدهور واخذت قبـــائل الحجاز تنفض عنهم لتنضم للسلفيين فجاء وفد من الأشراف الى القاهرة فى طريقه للسفر الى استانبـــول للاستنجاد بالدولة العثمانية ، وهنـــا يعلق الجبرتى على حوادث شعبان ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م فيقول :

« وفيه حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها هروبا من الوهابيين وقصدهم السفر الى اسلامبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ويستنجدون لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرهم عليهم فذهبوا الى بيت الباشا وتنقل الناس أخبارهم وحكاياتهم »(٢٣) .

كما يذكر فى حوادث شوال من نفس السنة أنباء عن وصول أشراف آخرين لنفس الغرض ، ويبدو أن الدولة بدأت تستجيب لهم فقد « حضر

(٢٢) الجبرتى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ .
(٢٣) الجبرتى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

أحمد باشا والى دمياط وكانوا أرسلوا له طوقا « رتبـــة » أى ترقيا ثالثا وانه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة وكذلك قلدوا آخـــر « بشوية » المدينة ومنحوا لهما عسكرا يســـافرون صحبتهم للمحافظة من الوهابيين وأخذ فى التشهيل »(٢٤) .

وعندما استولى آل سعود على الطائف وانضم عثمان بن عبد الرحمن المضايفى الى آل سعود كتب يقول « حضرت مكاتبـــات من الديار الوهابية يخبـــرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا الى جهة الطائف مخرج اليهم شريف مكة غالب فحاربهم فهـــزموه ، فرجع الى الطائف وأحـــرق داره التى بها وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلد وكبيرهم المضايفى نسيب الشريف وكان قد حصـــل بينه وبين الشريف وحشـــة فذهب مع الوهابيين وطلب من سعود الوهابى أن يؤمره على العسكر الموجه لمحاربة الشريف ففعل فحاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة(٢٥) .

ونلمح من هذه العبارة استعداد الشيخ لنقد أسلوب الدولة السعودية فى الحـــرب مما يدل على أنه لم يكن معهم على طول الخط وعلى العكس من ذلك نلاحظ أنه سجل استيلاءهم على مكة وهدم القبور والقباب بشىء من الترحاب فهو يورد البيان الذى أرسله الوهابيون الى مصر بعد دخولهم مكة والذى يشتمل على خلاصة دعوتهم ويعقب عليه قائلا :

« ان كان كذلك فهـــذا ماندين الله نحن أيضا وهو خلاصة لبـــاب التوحيـــد »(٢٦) .

وعنـــدما اشترط السلفيون على الركب الشامى الا يجىء الى الحج بالمحل والطبول مما جعل الشـــاميين يعودون دون أن يحجوا ، ويقول الجبرتى أنهم :

« عادوا ولم يتركوا مناكيرهم » فهو يعتبر المحمل وطبوله منكرا(٢٧) .

وعندما استولى الوهابيون فى عام ١٨٠٥ على مافى الحجرة الشريفة

---

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .
(٢٦) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .
(٢٧) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

من الذخائر والجواهر يعلق قائلا : « وهذه الأشياء أرسلها ووضعها سخائف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين والأعاجم » ، ثم يعلن نزاهة النبى عن مثل هذه الأشياء وأنه لم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته وقد أعطاه الله الشرف الأعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار أن يكون نبيا عبداً ولم يختر أن يكون نبيا ملكا ، وأخذ يدلل على صحة رأيه بالأحاديث النبوية الشريفة .

ويلتقى الجبرتى ببعض زعماء الوهابيين الذين أتوا بمصر أسرى أو مهاجرين ويتعرف اليهم ويصادقهم ويثنى على كبيرهم عبد العزيز ثناءا خاصا ، وعندما يقتل العثمانيون عبد الله بن سعود وأتباعه يعتبرهم الجبرتى من الشهداء فيقول :

« وصلت الأخبار أيضا عن عبد الله بن سعود أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه وقتلوا أتباعه أيضا فى نواحى متفرقة فذهبوا مع الشهداء »(٢٨) .

وعندما يرى أسرى الوهابيون يباعون فى الأسواق يحتج على ذلك قائلا : كيف تبيعونهم مع أنهم مسلمون أحرار(٢٩) .

وخلال تناول الجبرتى للصراع بين الأشراف وآل سعود تعرض لفساد حكم الأشراف وتصف بعض المصادر حمله الحجاز بأنها تركية كما درج المؤرخ النجدى عثمان بن بشر(٣٠) على وصف الجنود بالأتراك أحيانا بالروم وقد سار صاحبنا على هذا المنوال حيث قال « وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب »(٣١) .

وهذا الوصف اقرب الى الصحة فلم يكن هناك شىء مصرى فى الحملة سوى الأتباع الذين يخدمون الجنود اللهم الا اذا قبلنا وصف المصرى

---

(٢٨) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ .
(٢٩) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .
(٣٠) عثمان بن بشرة ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جزءين ، مكة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٠م ، ص ١٢٠ .
(٣١) الجترتى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ .

باعتبار أن الحملة خرجت من مصر واعتمدت على مواردها ، ولا ينفى هذا أن بعض الوجهاء المصريين اشتركوا فيها لأسباب خاصة فقد لعب السيد المحروقى كبير التجار فى القاهرة دور الوساطة السرية التى كسبت ود الشريف غالب وتحوله عن التحالف مع السعوديين كذلك صحب الحملة بعض شيوخ الأزهر مكلفين من محمد على بتنفيذ آراء الوهابية كنوع من حرب الدعاية بلغة العصر ، وبعضهم تطوع من تلقاء نفسه لما سمعه عن مناهضة السلفيين للطرق الصوفية(٣٢) .

فقد ذكر الجبرتى أنه « تعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدى من الشافعية ومن الحنفية السيد محمد الطحطاوى وشيخ حنبلى وصل من ناحية الشام وكانوا كلفوا باحضار السيد حسن كريت المالكى من رشيد والشيخ على خفاجى من دمياط فحضروا واعتذروا فأعفيا من السفر ورجعا الى بلاديهما(٣٣) .

ويستنبط من ذلك كيف أن محمد على رسم فى خططه عقد حوار مع السلفيين لنقد افكارهم أو بعبارة أخرى لتوعية أهالى الحجاز بمعارضة المبادىء الجديدة التى اعتنقوها .

ثانيا : الحرب فى شبه الجزيرة العربية :

فى أعقاب استيلاء آل سعود على المدينة المنورة عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م ودخول الشريف غالب فى طاعتهم وخلال قيام سعود بن عبد العزيز بالحج ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م اتخذت عدة اجراءات لتأكيد سيادة آل سعود على الحجاز ، فازال الشريف غالب مظاهر السيادة العثمانية فطرد الموظفين الأتراك وبقايا الحامية العثمانية والقاضيين التركيين من مكة والمدينة ومنع دخول قوافل الحج المصحوبة بالمحمل من مصر والشام ، وأشار عبد الرحمن الجبرتى الى ذلك فى حوادث ربيع ثانى ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م حيث قال :

« واخبر الواصلون انهم منعوا من زيارة المدينة وأن الوهابى أخذ كل ماكان فى الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر وحضر أيضا الذى كان أميرا على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من سعود الوهابى ومكتوب من

---

(٣٢) صلاح العقاد ، الحملة المصرية فى شبه جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ١١٠ .

(٣٣) الجبرتى ، مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٢ .

شريف مكة واخبروا انه امر بحرق المحمل واضطربت أخبار الاخباريين عن الوهابى بحسب الأغراض ومكاتبة الوهابى بمعنى الكلام ... وذكر فيها ما ينسبونه اليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع وتبرىء منها »(٣٤) .

ويتضح من هذا النص أن الجبرتى لم يكلف نفسه عناء معرفة اسم هذا الحاكم الوهابى والذى كان فى ذلك الوقت هو « سعود الكبير ابن عبد العزيز » ١٨٠٣م / ١٨١١م ، ١٢١٨هـ / ١٢٢٦هـ ، كما لم يظهر من هـذا النص تعاطف مع أسلوب السعوديين بل على العكس استخدم الوصف الذى شاع بين خصومهم وهى كلمة وهابى .

ويشير مؤرخنا الى أول تكليف محمد على بمحاربة السلفيين فى عجائبه فى حوادث جمادى الثانى ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ووصـول مندوب من الدولة العثمانية يحمل اليه أوامر بالخروج الى شبه الجزيرة(٣٥) .

ويركز الجبـرتى فى أحداث الحملة على أعمال السلب والنهب التى ارتكبها الجنود الأتراك والألبانيون عند احتلالهم لميناء ينبع وهذا يدل على موقفه من ذلك الصراع فيقول « ونهبـوا كل ماكان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر أخذهن أسرى ويبيعهن على بعضهم البعض »(٣٦) .

ومن ثم يتضح أن موقفه ابتداء من قيام الحملة أخذ يتبدل ويركز انتقاده على جنود محمد على ، وصور المعركة التى نشبت بين الوهابيين بقيادة جابر بن جبارة من جهة وطوسون وانتصار الأخير فى البداية ثم هزيمته بعد ذلك ، وقد أخذ محمد على يبرر فشل حملة طوسون بكثرة عدد أتباع ابن سعود من القبائل مع تجهيزهم بالأسلحة الحديثة وأخذ يحث ابنه على التشبث بميناء ينبع حتى تصله التعزيزات وكانت رسـائله الى الباب العالى تحث على مزيد من المساعدات المالية والملاحظ أن هذه الرسائل كانت مشبعة بالروح الدينية فتصف جنوده بالمسلمين والخصوم بالخوارج(٣٧) .

---

(٣٤) الجبرتى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
(٣٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٤ — ٣٠٦ .
(٣٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .
(٣٧) صلاح العقاد ، الحملة المصرية فى شبه جزيرة العرب ، ص ١١١ .

أما مؤرخنـــا فقد نسب الهزيمة الى الفسق الذى انتشر بين الجنود الألبان واختلافهم عن السلفيين الذين يراعون شعائر الدين(٣٨) .

وفى المرحلة الثانية من الحرب التى قضاها محمد على تتبع سفره الى الحجاز كما أشـــار الى الوفد الذى أرسله الأمير سعود لفك أسر المضايفى مقابل مائة الف فرانسا مع اجراء محمد على لتدريبات « أى مناورة بالذخيرة » ليؤثر ذلك فى نفسية الوفد فينقل هذا الى الأمير سعود ثم يسجل الجبرتى عودة محمد على فجأة الى القاهرة فى ليلة ١٥ رجب ١٢٣٠هـ / ٢٣ يونيو ١٨١٥م ويفسر هذه العودة بأنه بينما كان الباشا يقيم فى المدينة يعد لغزو نجد جاءت أنباء عودة نابليون من جزيرة « البا » فقفل راجعا الى مصر بحجة أنها قد تتعرض لغزو خارجى(٣٩) .

وقد وصـــل وفد سعودى فى شوال ١٢٣٠هـ / سبتمبر ١٨١٥م للتفاوض حول الصلح ولم يحسن محمد على استقباله وقد التقى الشيخ عبد الرحمن بالوفد مرتين ووجد فيه « أنسا وطلاقة لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبـــار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب فى الخطاب والتفقـــه فى الدين واستحضار الفـــروع بما يفوق الوصف »(٤٠) .

على أننا نلاحظ فى الأيام الأخيرة للحرب أنه لايورد أخبارا اما لقلتها أو لعدم رضائه عن نتائجها التى جاءت فى صـــالح والى مصر أو لأن هذه الحقبة من تاريخه جاءت مختصرة بعد تقدمه فى السن وليس معنى ذلك أننا نفتقد المصادر الأخرى المحلية فمن حسن الحظ أن مؤرخا آخر أكثر التصاقا بالحركة السلفية وهو « عثـــمان بن بشر » كان مايزال فى مرحلة شبابية عندما دخلت قوات محمد على الى نجد فسجلّ أحداثها العسكرية تسجيلا دقيقا ووضـــح كيفية حصار المدن النجدية التى قاومت الحملة مقاومة عنيـــدة .

ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن بشر يشترك مع المؤرخ المصرى فى عدة أمور منها اتباعه لمنهج الحوليات فى كتابة التاريخ ومنها وضوح الرؤية

---

(٣٨) الجبرتى ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٤١ / ٣٤٢ .
(٣٩) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .
(٤٠) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ — ٢٤٥ .

فى التاريخ المحلى فقط حتى اذا تناول موضوعا بعيـــدا عن بلاده أخذت الصورة تتشوش فمثـــلا اذا كان الجبرتى يخلط بين حكام آل سعود فان ابن بشر لم يكن دقيقا عند تناول بعض أحداث مصر كما يتضح من اشاراته الوارده الى التدخل البريطانى فى منطقة الخليج(٤١) .

واذا كان بن بشر قد اختصر فى الحديث عن مصير الأسرى النجديين فى مصر فان الجبرتى لم تفته هذه النقطة فقد عبر عن استيائه بأن المسلمين من السلفيين يباعون أسرى فى الأسواق ويعلق بقوله « مع أنهم مسلمون أحرار » وعلى نقيض ذلك يصف القوات التى ذهبت الى الجزيرة العربية والتى تصف نفسها بالمجاهدين بقوله « ونصبوا خيامهم واستمروا يخرجون من المدينـــة ويدخلون غدوا وعشيا وهم يأكلون ويشربون جهارا فى نهار رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ويمرون بالأسواق ويجلسون على المصـــاطب وبأيديهم الأقصاب والشبكات التى يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء وابشع من ذلك انه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الحجم الكثير من النساء الخواطىء والبغايا ونصبوا خياما واخصاصا وانضم اليهم بياعو البوظة والعرقى والحشاشون والغوازى وانحشر معهم الكثيرون من أهل الأهواء والعياق من أولاد البلد كأنما سقط عن الجميع التكاليف(٤٢) وخلصوا من الحساب .

ثالثا : موقف الجبرتى من المبادىء النظرية :

لعل مصدر اهتمام الجبرتى بالسلفيـــة نابع من كونه لا يؤمن بالبدع والخرافات وكان من أوائل المصريين الذين قدروا قيمة الحركة السلفيـــة فى شبه الجزيرة تقديرا خاصا ولعل تقديره هذا احد أسباب سخطه على محمد على وقد جره هذا السخط على الجيوش التى حاربت آل سعود تحت قيادة محمد على وابراهيم باشـــا والتى كانت مزودة بالعتاد الحربى الذى أنفق عليه الفلاح المصرى وهو فى أشد حالات الضنك .

فقد كان كالسلفيين لا يؤمن بزيارة الأضرحة ولا التشفع بالأوليـــاء ويرى أن الوقف والنذر على القبور والأضرحة باطل ويسخر حين يذكر أن

---

(٤١) مصطفى عبد الغنى ، مؤرخو الجزيرة العربية فى العصر الجديث ، ص ٤٠ — ٤٥ .
(٤٢) الجبرتى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .

خادم مقام السيد البدوي حين توفى وجدوا يمينه ثروة تقدر بحوالى ٢٠٠,٠٠٠ ريال فرانسا .

وكان صاحبنا سابقا لعصره حين ذكر أن النيل عندما لم يفض فى سنة من السنوات يجتمع المسلمون لصلاة الاستسقاء والأقباط فى الكنائس بالفعل يفض النيل ويعلق بقوله « وذلك لا أصل له » هذا بالاضافة الى ما أصاب حياة التصوف من فساد ومن هذا المنطلق أيضا أنكر على بعض الشيوخ طمعهم فى الدنيا واستزاف الأموال باسم الدين مع ايمانه العميق بقضاء الله وقدره ، ومن جهة أخرى فان قضية الدعوة السلفية هى القضية الثانية التى أثارت صراعا فكريا بعد قضية ملاحقة ركب الحضارة العالمية وموقف الناس منها وموقف شيخنا بصفة خاصة ، وتتضح مساندة الجبرتى للدعوة عند ذكره لأخبارها وسير الأحداث وهى تمثل الصراع الفكرى الذى دار حول تلك الدعوة(٤٣) .

فنراه يعجب بالشروط التى اشترطها السلفيون للحج وهى الاتيان بدون المحمل مع مايصحبه من الطبل والزمر والأسلحة وان كان البعض لم يتخل عن تلك العادات فتشبثوا بها أثناء الحكم السعودى للحجاز مما أدى الى عودة الركب الشامى ولم يتركوا مناكيرهم على حد تعبير الجبرتى(٤٤) .

وقد فوت دعاة الحركة على أنفسهم فرصة الدعاية لمبادئهم حين قررت الدولة السعودية الأولى قفل الأماكن المقدسة أمام الحجاج من الأقطار الاسلامية الأخرى مع أنه فى الحالات القليلة التى سمحت فيها بدخول قوافل حجاج من هذه الأقطار أثار نظام السلفيين اعجاب الوافدين من الأقطار البعيدة كما حدث فى عام ١٨١٠م بالنسبة لقافلة الحج المغربى التى كان يرأسها ولى السلطنة(٤٥) .

هـذا بالاضافة الى مبالغة الولاة العثمانيين فى الولايات العربية

---

(٤٣) ابراهيم أحمد العدوى ، الصراع الفكرى بين أجيال العصور الوسطى والعصر الحديث كما صوره الجبرتى ، من أبحاث ندوة الجبرتى ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٤٤) الجبرتى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

(٤٥) صلاح العقاد ، دعوة حركات الاصلاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

فى وصف المعاملة السيئة التي يلقاها الحجاج والأخطار التى تتعرض لها قوافل الحج وذلك لكى يبرروا موقفهم اذا فشل جنودهم المرافقون للمحامل من حماية الحجاج من قطاع الطرق بل ان من هؤلاء الولاة من كان يتمنى عدم سفر المحمل الذى كان يكلفهم كثيرا من النفقات .

وتتضح رؤية مؤرخنا للمبادىء من خلال التعليقات التى أوردها عن موقف السلفيين من البدع السائدة فى عصرهم فيذكر انقطاع الحج المصرى والشامى مع التعليل بمنع السعوديين لهم « والحال ليس كذلك فانه لم يمنع أحد يأتى الحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا تجيزها الشرع وقد وصلت طائفة من الحجاج المغاربة وحجوا ورجعوا ولم يتعرض لهم أحد بشىء »(٤٦) .

كانت هذه هى رؤية صاحبنا وهى رؤية متعاطفة مع الحركة السلفية ومتسقة مع موقفه المناقض لانحرافات عصره وعلى الرغم من قلة تعليقاته فى ايراد الأخبار الا أنه خرج من ذلك فى تعليقه على موقف السلفيين المتصدى للبدع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أوضح فى مقدمة كتابه « عجائب الآثار » رأيه فى قضية التشريع فهو يرى أن التشريع فى الاسلام يستند الى الكتاب والسنة وهو بذلك يقترب كثيرا من حركة الاصلاح الدينى التى دعى اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كأستمرار لفكر « ابن تيمية » فى هذا المجال .

ولم يكن الجبرتى منفردا فى اعجابه بالدعوة السلفية فقد أعجب بها وأيدها كثيرون وعارضها أيضا فى نفس الوقت كثيرون ، وفى الحقيقة أنها لم تأت بجديد فى الدين الاسلامى ولم تكن خارجة عن مبادئه وهى مبادىء قديمة وجديدة فى نفس الوقت قديمة لكونها لم تخرج عن تعاليم الاسلام ولم تأت فيه بجديد ، وجديدة لأن الممارسات الشعبية كانت هى الغالبة حتى سار من الصعب التميز بين ماهو جزء من الفكر الدينى الأصيل والفكر المنقول من تراث الشعوب المختلفة التى انضمت الى العالم الاسلامى(٤٧) .

---

(٤٦) الجبرتى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ — ٢٥٠ .

(٤٧) عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، ١٧٤٥ — ١٨١٨م / ١١٥٨ — ١٢٣٣هـ ، ص ٣٧١ — ٣٩٠ .

اذن فالجبرتى ليس منفردا بتأييد الفكر السلفى ففى كل عصر يظهر رجال يستنكرون ماجد على الاســـلام من مبدعات وتحريفات ولكن الذى يدهشنا فى الأمر أن مؤرخنا عاش فى بيئـــة تغلب عليها الطرق الصوفية وكان التفكير فى الأزهر قد تجمد عنـــد كتب الفقه التى وضعت فى عصور متأخرة وقل الرجوع الى الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام ٠

ومن هنا نستطيع القول بأن الشيخ عبد الرحمن استطاع أن يكون لنفسه رأيا مستقلا وأن يخرج عن الأفكار السائدة فى بيئته وعصره ٠